الخطب المنبرية

مشاهد التوحيد
في عشر ذي الحجة

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخُطبَةُ الأُولَى

إِنَّ الحَمْد لله، أحمده - سبحانه - هو الرَّحمن الرَّحيم؛ ذو الفضل والإنعام ذو المَنِّ العظيم، وأشهد أَلَّا إِله إِلَّا الله وحده لا شريك له لا إله إِلَّا هو الحليم الكريم، وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله الرَّؤوف الرَّحيم، صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وصَحْبه وسَلَّم تسليمًا مَزيدًا إلى يوم الدِّين.

أَمَّا بعد:

أَيُّها المؤمنون!

اتَّقوا رَبَّكم، وأَطِيعوا نَبِيَّكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لعلَّكم تُرحمون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

واعلموا - رَحمكم الله - أَنَّه قد أَظَلَّتْكم عَشْرُ ذي الحِجَّة، وهي مَوسِم طاعاتٍ، ومَحْفَل خَيراتٍ؛ فيها تُكَثَّر الحسنات، وتُكَفَّر السَّيِّئات، وتُرفَع الدَّرجات؛ فاغتَنِموا فيها الأعمال الصَّالحات.

واعلموا - رَحمكم الله - أَنَّ لمواسم الطَّاعات غاياتٍ أيَّ غاياتٍ؛ فإنَّ الشَّرْعَ الحكيمَ يجعلُها لِإنْبَاه الخَلْق إلى مقاصدَ عظيمةٍ، وجُمَلٍ جليلةٍ؛ **من أَجَلِّها على الإطلاق، وأَعْظمِها بالاتِّفاق:** توحيدُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإنَّه إذا حَضَر في القلوبِ توحيدُ الله وإعظامُه وإجلالُه، لَانَتْ تِلك القلوبُ لخالِقها؛ فاتَّبعَتْ أَمْرَه، واجتنبَتْ نَهْيَه.

وفي هذه العَشْرِ يَتَجَلَّى توحيدُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ تذكيرًا لنفوسنا، وتأكيدًا لِغَرْسه فيها في مشاهدَ عِدَّةٍ:

۞ **منها: مَشْهَدُ الحجِّ؛** قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

فأُشِيرَ إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر بالحَجِّ في موضعين اثنين:

* **أحدهما:** تقديمُ ذِكْره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآية المذكورة بقوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾؛ أي أَنَّ التَّوحيد كائنٌ لأجلِ تأليه اللهِ وتعظيمِه، وتَفْريده بالعِبادة وتوحيدِه.

* **والآخر:** في بيان كمال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واسْتِغنائِه عن طاعة الطَّائِعين، وعدم مُبالاته بِعِصيان العاصِين؛ في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

۞ **ومن تِلك المشاهد: مشهدُ التَّكبير في عشر ذي الحِجَّة:** (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إِلَّا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحَمْد)؛ فإنَّ هؤلاء التَّكبيرات تَدُور

على ثلاثِ كلماتٍ؛ هي (التَّهليل، والتَّكبير، والتَّحميد).

فأَمَّا التَّهليل - وهو قول: (لا إله إِلَّا الله) -: فهو صريحٌ في إعلان وَحدانِيَّة الله، وأَنَّه لا مَعبودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ.

وأَمَّا التَّكبير - وهو قول: (الله أكبر) -: فهو تذكيرٌ بِعَظَمة الله، وأَنَّه لا شيءَ أكبَرُ منه؛ فإذا كان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الكبير الأكبَرُ، فإِنَّه يجب توحيدُه وتَفْرِيدُه بالعِبادة.

وأَمَّا التَّحميد - وهو قول: (الحمد لله) -: فهو إعلامٌ بأَنَّ جميعَ الكمالات له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ استحقاقًا وانْفِرادًا؛ **ومِن أَعْظَمِها**: جَعْلُ العِبادة له - سبحانه.

فهؤلاء الكلماتُ مِن التَّكبير (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إِلَّا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد): هي إعلانٌ ثانٍ للتَّوحيد في عَشر ذي الحِجَّة.

۞ **ومِن جملة مشاهد التَّوحيد فيها: صَومُ يومِ عرفةَ**؛ فإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ؛ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**»[1].

وفيه مِن إعلان الوَحدانِيَّة: كونُ الصِّيام عِبادةَ سِرٍّ، لا يَطَّلِعُ عليها أحدٌ في عِبادة أحدٍ؛ فإِنَّ حال الصَّائم لا تَتَمَيَّز في الصُّورة الظَّاهرة بين كَوْنه صائمًا أو مُفطِرًا؛ فإذا رآه أحدٌ لم يعلمْ أَهُو صائمٌ أَمْ لا؛ فالصِّيام سِرٌّ بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

---

(١) أخرجه مسلمٌ (١١٦٢)، من حديث عن أبي قتادةَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبين عَبْدِه، والقيامُ بِهذا السِّرِّ والوفاءُ به هو توحيدٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

۞ ومن جملة مَشاهد التَّوحيد فيها: ذَبْحُ الأضاحي تَقَرُّبًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛

فإِنَّ الله قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر].

وإراقَةُ الدَّمِ مِن ذَوات الأنعام من البهائم العَجماء (الإبل، والبقر، والغنم): هو تعظيمٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وإجلالٌ وتوحيدٌ له.

ففي عَشْـــر ذي الحِجَّة تَتَجَلَّى هذه المشـــاهِدُ؛ تذكيرًا بتوحيد الله، وأَنَّه لا يُعْبَد سواه.

فالدُّعاء لله، والتَّوَكُّل على الله، والاســتعانةُ بالله، وكُلُّ عِبادةِ العبدِ يجب أَنْ تكون لله وحدَه لا شريك له.

أقول ما تسمعون، وأستغفر اللهَ العليَّ العظيم لي ولكم؛ فاستغفِرُوه إِنَّه هو التَّواب الرَّحيم.

الحمد لله رَبِّ العالمين، رَبِّ الأَوَّلين والآخِرين، وأشــهد أَلَّا إِلَه إِلَّا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسوله تصديقًا للإيمان به وتأكيدًا.

اللَّهمَّ صَـلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ، كما صَـلَّيْتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مَجيدٌ، اللَّهمَّ بارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ، كما باركْتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مَجيدٌ.

أَمَّا بعد:

أَيُّها المؤمنون!

إذا وَعَى العبدُ أَنَّ مِن أَجَلِّ المقاصــد على الإطلاق وأَعْظَمِها بالاتِّفاق مِمَّا يُراد في عَشــر ذي الحجة: توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ = **عَلِمَ أَنَّ الواجب عليه: أَنْ** يَتُوب إلى رُشْدِه، وأَنْ يرجعَ إلى رَبِّه بالتَّوبة إليه.

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور:٣١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التَّحريم:٨].

فاغتَنِموا عَشْـركم بالتَّوبة إلى رَبِّكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بأَنْ تَكُفُّوا عمَّا تَرَكْتُم من الحسنات فتفعَلُوه، وتَكُفُّوا عَمَّا يُفعَل من السَّيِّئات فتَتْرُكوه.

فازدادوا مِن الحسـنات، وتَفَقَّدُوا أنفُسَـكم فيها، وحَاذِرُوا المعاصـي والسَّـيِّئات، وَتَخَلَّوْا عنها؛ **فإِنَّ حقيقة التَّوبة**: الازديادُ من الحسـنات، وتَرْكُ السَّيِّئات.

والتَّوبة في المواسـم الفاضـلة، مِن أعظم الأعمال الصَّـالحة؛ فَتُوبوا إلى رَبِّكم، وازدادوا من الأعمال الصَّالحات في عَشر ذي الحِجَّة؛ فإِنَّها أفضلُ أيَّام سَنَتِكم، والعملُ الصَّالِح فيها أَحَبُّ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِن العمل في غيرها.

اللَّهمَّ آتِ نفوسَنا تقواها، وزَكِّها أنت خَيرُ مَنْ زَكَّاها، أنتَ وَلِيُّها ومَوْلاها.

اللَّهمَّ إِنَّا نسألُك الهُدى، والتُّقَى، والعَفاف، والغِنَى.

اللَّهمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمان، وزَيِّنْه في قُلوبنا، وكَرِّهْ إلينا الكُفْر والفسـوق والعصيان، واجعَلْنا مِن عبادك الرَّاشدين.

اللَّهمَّ فَرِّجْ كُرَب المَكْرُوبين، ونَفِّسْ هموم المهمومين، وَاقْضِ الدَّيْن عن المَدِينِين، وَاشْفِ مَرَضَنا ومَرْضَانا ومَرْضَى المسلمين.

اللَّهمَّ وَفِّق وَليَّ أَمْرِنا بتوفيقك، وأَيِّدْه بتأييدك، وأَرِهِ الحَقَّ حَقًّا وارزُقْه اتِّباعَه، وأَرِه الباطلَ باطلًا وارزُقْه اجتِنابَه، ويَسِّرْ له البطانةَ النَّاصحةَ الصَّالحةَ، وجَنِّبْه بطانةَ السُّوء.